

ذلك فقد كانوا مأخوذين بجاذبية جماله السامي ولطفه المشجع.

كان يعزّي الحزانى ويغيث البؤساء ويزور المرضى. يرافق المنازعين ويزرع في كل مكان النور والقوة والسلام. وكانت أمه الوقور شاهدة أغلب الأحيان وحتى مشاركة له بهذه العجائب وكانت بالأخص تمارس أفعال الرحمة مع النساء، بينما كانت رحمة يسوع تشمل الرجال. وكان نصيب الفقراء أكثر من الآخرين في هذا الدفق من الحنان لأنهم يكونون عادةً أكثر تواضعاً ووداعةً وتجرّداً.

كان يرافق المخلص وأمه قليل من الناس ولكن ملائكتهما كان يؤلفون حولهما موكباً جميلاً، كما أنهم كانوا يؤلفون لهما ملجأ في حال لم يستطيعا العودة إلى المنزل، وعليهما قضاء الليل في الهواء الطلق، ويأتونهما بطعام زهيد إن لم يكونا قد طلباه كحسنة. ويرافقون ملكتهم بشكل منظور حين تكون مفصولة عن ابنها ليسانعدها في أعمال الرحمة وينقلون إليها أخبار سيدهم.

ولكنّ الملائكة الأشرار كانوا في البلبلّة: هذه الإرتدادات العجيبة والميتات المقدسة والقوة غير المقهورة التي كانت ترمي بهم في الجحيم، عندما يحضر يسوع ومريم كانت تملؤهم غيظاً وخزياً. فقررّ لوسيفورس الانتقام. فجمع جميع الشياطين بعواء مخيف وقال لهم: لا أعتقد أن الكلمة قد تجسّد لأنني لا أرى مجده الذي يجب أن يكلمه، ولا في أي مكان. فما هي إذاً هذه القوة التي تحطمتنا؟ إنني أكره هذه المرأة العدوة التي تغلبت علينا دائماً.

تفوق جحود وقسوة الهالكين. كان يريها أيضاً كيف كان يتوجّب عليها أن تساعدته في بناء وتوجيه كنيسته، في التحمّل والتكفير عن خطايا الرسل أثناء آلامه.

وعندما بلغ السنة السابعة والعشرين من عمره راح يتهيأً للتبشير، ليس فقط بالصلوات والصيامات وقضاء ليالٍ بكاملها بالصلاة العقلية على الجبال، بل أيضاً بأحاديث مألوفة مع العالم. كان غيابه أحياناً يدم يومين أو ثلاثة. فيأتي الملائكة لمساعدة أمه الكلية القداسة بأشكال بشرية ظاهرة ويحملون لها الأخبار عن ابنها حسب طلبه. وعند عودته كانت تستقبله وهي راكعة على ركبتيها، وتقدّم له وجبة طعام زهيدة، وتشكره على النعم التي كان قد أفاضها عليها ويتكلم عنها معها: - كم كنت أودّ، كانت تقول له، أن يستجيب جميع البشر المائتين لاهتمامك ! ها هي خادمتك حاضرة بكليتها لتتّم ما يسرّك بالأكثر، ولتقدّم حياتها من أجل تتميم رغباتك ! - يا أمي ! قال لها المخلص يوماً، لقد حان الوقت لأهبي بعض القلوب لتقبّل نور شريعتي وأريد أن تشاركيني بهذا العمل.

ومن هذا اليوم راحت سيدة الكون ترافق ابنها تقريباً كل المرات التي كان يخرج فيها من الناصرة. كان يتجولّ مرات عديدة في المدن المجاورة، وقبيلة نقتاليم كما كان قد أنبأ أشعيا. كان يبشّر في كل صوب بمجيء المخلص دون أن يكشف عنه بشخصه، وكان يؤكد ذلك بالإشارة إلى بعض النبؤات التي كملت، وبالأحداث التي حصلت في بيت لحم. كان كلامه مصحوباً بنوع من النعمة، تُحدث ثماراً عجيبة، على رغم أنها لم تكن مدعومة بعجائب محسوسة. ومع

